الفكر السياسي في مصر القديمة

إعـــداد

دكتور/ ثناء عبد الرشيد محمد

مدرس الفلسفة السياسية

كلية الآداب جامعة جنوب الوادى بقنا

مقدمة

إن الفكر السياسى على اختلاف أنماطه وموضوعاته، صفة ينفرد بها الإنسان دون سواه من بين سائر المخلوقات فى هذا الكون، وهو ثمرة من ثمار العقل البشرى ينشأ ويتراكم على مر العصور، نتيجة للجهد الذهنى الذى يبذله الإنسان فى سعيه لمعرفة الظواهر المتعددة والمتباينة التى يعيش فى كنفها.[1]

والإنسان هو مصدر الفكر ووسيلته وغايته فى نفس الوقت، ويرجع ذلك إلى طبيعة تكوينه المادى والمعنوى والنفسى فقد وصفه الفلاسفة منذ القدم بأنه كائن ناطق عاقل ومفكر مدنى بالطبع وسياسى بالفطرة، وثقافى بالوعى يدرك الأشياء و ينفعل بالأحداث ويشعر بالألم ويحس بالسعادة فى الحياة ، لذلك فهو يراقب ويتأمل ويتدبر حاجاته وعلاقاته ويملك القدرة الحسية والذهنية للتمييز بين ما يحقق له السعادة التى ينتفع بها، ويحاول الابتعاد عن ما يجلب له الألم والمعاناة لذا فهو يحاول دائما الموازنة بين ما يعرض له من أمور وأشياء، وهذا فى الحقيقة ما يدفعه دائما إلى التفكير والتأمل لكى يحقق الارتقاء والتقدم[2].

ولما كان الإنسان مصدر الفكر فمن الخطأ إذن أن نقصر الفكر على إنسان دون آخر، فهناك من يدعى أن الفلسفة اليونانية أصيلة النشأة والمولد ومن هؤلاء أرسطو قديما وزيلر وبرنيت[3] حديثا حيث يقول زيلر" أن الفلسفة اليونانية هى ابتكار إغريقى أصيل لم يشاركهم فيها أحد، وأننا لا نجد عند الأمم فى الحضارات الشرقية فلسفة بمعناها الصحيح القائم على التفكير المستقل عن الدين، وصحيح توجد فلسفة عند الهنود والفرس والصين، ولكن اللغة المستخدمة وقتذاك لم تكن ملائمة للتعبير الفلسفى، كما أن النظم الفلسفية التى

---

[1] – د. فؤاد زكريا ، التفكير العلمي، ط٣ ، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨) ص ٦.

[2] – د. بكر مصباح نيرة ، تطور الفكر السياسى فى العصور القديمة والوسطى (بنغازى، دار الكتب الوطنية،(١٩٩٤)ص ١٣.

[3] – أنظر: Burnet, Early Greek philos, 3rd, edit London , 1920. P.23.

ظهرت عند الهنود لم تنفصل عن الدين، أما الإغريق فقد استبدلوا بالتصورات الخرافية والأسطورية للعالم نظام عقلى صارم يقوم على الفكر القادر وحده على تفسير الحقيقة بشكل طبيعى[١]

وفي الجانب الآخر نجد فريق يقول بنظرية الأصل الشرقي في الحضارة اليونانية ومنهم "ديوجين اللاترسي" من القدامى ، و"جورج سارتون" من المحدثين الذي يقول "إنه لم يكن بالإمكان أن تحقق العبقرية اليونانية معجزاتها العلمية بغير أصولها الشرقية ، ومن ثم فليس للغربيين استبعاد الأب والأم الذين نشأت عنهما هذه العبقرية ، أما الأب فهو كناية عن التراث المصري القديم، وأما الأم فهي كناية عن ذخيرة بلاد ما بين النهرين : دجلة والفرات.[٢]

ونحن مع هذا الفريق الأخير ، فنبوغ اليوناني لم ينشأ من فراغ وإنما من تأثره بما سبقه، فالفكر ــ كما سبق أن ذكرنا ــ سلسلة من الحلقات لا يجوز أن نقصره على شعب دون شعب أو حضارة دون أخرى. فالحقيقة الثابتة التي لا مناص منها أن حضارة مصر تمتاز بقدمها وتضرب بجذورها في عصور سحيقة فضلا عن أنها تمتاز بشمولها لمختلف مظاهر الحياة الإنسانية، وما تنطوي عليه من مشكلات ولذلك تعتبر الحضارة المصرية القديمة بحق المهد الأصيل والمعين الأول الذي استقت منه حضارات الشعوب الأخرى المجاورة مادتها.[٣]

وكما حدث خلاف بين الفلاسفة والمفكرين حول نشأة الفكر هناك خلاف آخر حول وجود نظام سياسي في مصر القديمة، حيث رفض البعض الاعتراف بوجود فكر سياسي شرقي بعامة ، وبالتالي وجود فكر سياسي مصري جدير بالدراسة وهم يذهبون لتأييد وجهة نظرهم، إلى القول بأن السياسة كانت تؤلف أحد أقسام الفلسفة النظرية، ولم يعرف عن

---

1 - Zeller, outlines of the history of Greek philosophy London 1963, p.2.

٢ ــ نقلا عن د. توفيق الطويل ، اسس الفلسفة ، ط٦ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) ص٤٢ .

٣ ــ د. مصطفى الخشاب ، النظريات السياسية والاجتماعية ، ط١ (القاهرة : لجنة البيان العربي ، ١٩٥٣)ص٩، ١٠.

المشارقة القدامي ومن بينهم المصريين براعتهم في حقل التفلسف. وإذن فليس هناك من أفكار شرقية سياسية تستحق الذكر ، فضلا عن أن النظم السياسية الشرقية القديمة ومن بينها النظام المصري كانت عبارة عن نظم ديكتاتورية جملة وتفصيلا.[1]

وذهب آخرون إلى أن الفكر السياسي في الحضارة المصرية كان بسيطا وشكليا يكتفي بالوصف وتمجيد الواقع والتسليم به، ذلك أنه لم يعثر حتى الوقت الحاضر على آثار تدل على وجود محاولات للتفكير في الظاهرة السياسية أو إعطاء تفسيرات موضوعية لطبيعة العلاقة بين الحاكمين والمحكومين.[2]

إلا أن هذا الكلام مردود عليه فقد فات هؤلاء الباحثون، أن العصر الذي عاش فيه سقراط كان عصر الحكم الديكتاتوري في بلاد اليونان، وقد ذهب سقراط نفسه ضحية قوانينه الجائرة ناهيك عن أن الدول الأوروبية وحتى القرنين السادس عشر والسابع عشر وجزء كبير من القرن الثامن عشر، قد سادها نوع من أنظمة الحكم الديكتاتوري التي تمخض عنها فيما بعد نشوء نظريات سياسية متعددة ، ثم إننا لو سلمنا فرضا بأن النظام السياسي المصري كان نظاما ديكتاتوريا أو شكليا أو جامدا فهذا لا يمنع من دراسته والنظر فيه[3].

وسوف يتبين لنا من خلال هذا البحث أصالة الفكر السياسي المصري القديم وكيف أن المصري القديم هو أقدم سياسي عرفه التاريخ الإنساني كله ، سياسي عمره من عمر الزمن ، علم الدنيا كيف تحكم بالعدل بين الناس، وكيف تضع القوانين التي تساوي بين الحاكم والمحكوم ، وكيف يتكلم الحق في حضورها ويسكت الباطل، وهو أول من اشتغل بالسياسة يوم أن كون أول حكومة منظمة وأول دولة عريقة في التاريخ المكتوب كله ، وهي

---

١ ــ د. مهدي فضل الله ، بدايات التفلسف الإنساني ، الفلسفة ظهرت في الشرق (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٩٤) ص ١٠٨ .

٢ ــ د . بكر مصباح تنيرة ، تطور الفكر السياسى فى العصور القديمة والوسطى ، مرجع سابق ، ص ٨١.

٣ ــ د. مهدي فضل الله ، بدايات التفلسف الإنساني ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

التي أعلنها مينا عام ٣١٥٠ ق.م وقبل أن يخرج الإنسان الأوروبي الذي يتكبر الآن بما وصل إليه من الكهوف التي كان يعيش فيها فوق الجبال وداخل الوديان والغابات بقرون طويلة [١].

وقد ساعد المصري القديم مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية وفرت له هذه النهضة ، فقد وفرت عناصر البيئة الطبيعية للبيئة الحضارية كل عوامل النهوض والارتقاء والاستمرار والاستقرار ، فنهر النيل يجري وسط سهول منبسطة خصبة، سهل على المصري استخدامه في ري الأرض وتقدم الزراعة ومجري النهر صالح للملاحة في جميع فصول السنة، مما ساعد على سهولة الاتصال بين جميع أجزاء الإقليم المصري من الجنوب إلى الشمال وبالعكس ، والمحسار النيل بين الصحاري التي تحيط به من الشرق والغرب، جعل المصريين يجتمعوا حوله ويقيموا المدن والقرى قريبة من بعضها مما أوجد تجمعات بشرية قامت بين أفرادها علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية قوية ، فمصر من أقدم الدول التي عرفت ما نسميه اليوم بالمنطق السياسي بالوحدة القومية بين أبناء شعبها.[٢]

أضف إلى ذلك الموقع الجغرافي الممتاز الذي انفردت به مصر بين أقطار العالم إذ تقع في ملتقى قارتين، الأولى وفر الله لها الكثير من الخيرات وهي أفريقيا وجعل من الثانية وهي آسيا مهد الحضارات ومهبط الرسالات السماوية ، كما تطل على بحرين من أهم بحار الدنيا، مما أثر في مناخها الذي ساعد على نشاط المصري وسعيه في طريق الحضارة بخطى واسعة، كما هيأ لها الله بفضل صحاريها حماية طبيعية ضد المعتدين، بالإضافة إلى ما أودعه الله في باطن هذه الصحارى من معادن وصخور متنوعة ساعدت الإنسان على صنع آلاته وأدواته وأسلحته.[٣]

---

١ ــ د. جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي (القاهرة : (دار الآفاق العربية ، ٢٠٠١) ص١٤٣ .

٢ ــ د. بكر مصباح تنيرة ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطي ، مرجع سابق ، ص٧٤ . وانظر ايضا : ه .. فرانكفورت واخرين ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم مراجعة محمد الامين (بغداد ، بدون ، ١٩٦٠) ص ٤٩ .

٣ ــ د. بكر مصباح تنيرة ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطي ، مرجع سابق ، ص٨١ .

ولكن الطبيعة وحدها لا تقيم الحضارات وإنما تقدم أسباب ، ومن هنا يأتي دور المصري الذي جاهد لتذليل الكثير من الصعاب والعقبات وبذل الجهد لمكافحة قوى الطبيعة،ولهذا كانت حضارتهم نتيجة لعملهم الإيجابي المثمر وذكاءهم وحرصهم على الاتحاد والتعاون.[1]

ومن البديهي أن بناء حضارة ــ كما ذكرنا ــ لا يتم في يوم واحد ولن يكون ممكنا دون أن يكون هناك قدر من المركزية السياسية والاستقرار الذي تحقق في وادي النيل وهذا ما يسمى بالمعجزة المصرية ، لأنه كان في مصر حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م نوع من الوحدة السياسية ، مع العلم أن هذه الوحدة لم تكن آنذاك تشمل جميع أراضي مصر، بل كانت هناك مملكتان وهي مملكة الوجه البحري (الدلتا) ومملكة الوجه القبلي (الصعيد) ولكن عندما وحد الملك هاتين المملكتين بدأ عصر الأسرات وأطلق على نفسه اسم ملك الوجهين (القبلي والبحري) وقد مرت على مصر ثلاثة عصور من الاستقرار هي الدولة القديمة ــ الأسرات ١- ٦ (٣٤٠٠ ــ ٢٤٧٥ ق.م) الدولة الوسطى الأسرات ١١ ــ ١٢ (٢١٦٠ ــ ١٧٨٨ ق.م) الدولة الحديثة الأسرات ١٨ ــ ٢٠ (١٥٨٠ - ١٠٩٠ ق.م) وامتدت هذه العصور على التوالي ٩٢٥ ــ ٣٧٢ ــ ٤٩ عاما تخللتها مدتان من الفوضى أو عدم الاستقرار، ولكن لحسن حظ المصريين كانت عصور الاستقرار طويلة، وخاصة العصر الأول حيث تمكنوا من توطيد أركان نظمهم السياسية.[2] ما ساعدنا على إبراز الفكر

---

١ د. محمد جمال الدين مختار ، تاريخ مصر والشرق الأدني في العصور القديمة (القاهرة : دار النهضة العربية ، ٢٠٠١) ص٦ – ١٠

أيضا: د. محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا في مصر القديمة (الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩) ص ٨٩ .

٢ ــ د. محمد كريم تطور الفكرفلسفي والسياسي من مصر القديمة حتي الاسلام ط١(بيروت : المكتبة العصرية للطباعه والنشر ، ١٩٩٥) ص٢٧ .

السياسي لديهم. وسيكون ذلك من خلال عرضنا لمجموعة من المفاهيم السياسية الأساسية التي يقوم عليها الفكر، وأهمها :

أولا : مفهوم الدولة :

إن مفهوم الدولة كما أبدعه المصري القديم لا يزال كما هو في العصر الحديث ولم يتغير الأمر كثيرا ، فالدولة حديثا هي المنطلق الأساسي للعلوم السياسية وهي المؤسسة التي نشأت حولها مختلف النظريات السياسية، وتعددت تعاريفها من قبل فلاسفة هذا العلم فمنهم الفرنسي "اسمان" الذي عرفها بأنها التشخيص القانوني لأمة ما. ومنهم الإنجليزي "هولاند" الذي عرفها بأنها مجموعة من الأفراد يقطنون إقليما معينا ويخضعون لسلطة الأغلبية أو سلطان طائفة منهم [1] ويرتبط مفهوم الدولة بمفهوم السلطة وكلاهما ينبثق منه وعنه مفهوم الحكومة، فالدولة هي الأعم والأهم باعتبارها إشارة إلى مجموع المواطنين الذين يقطنون مكانا معينا في ظل نظام سياسي معين، بينما الحكومة تمثل إحدى سلطات ثلاث في الدولة وهي السلطة التنفيذية بينما توجد إلى جوارها سلطة تشريعية وسلطة قضائية[2].

وهذا المفهوم والارتباط بين الدولة والحكومة لم يتغير، عما كان في مصر القديمة وفيه ما يؤكد من جانب آخر أن النظام السياسي في مصر القديمة قد بلغ درجة كبيرة من الوعي بمفهوم الدولة والحكومة وارتباطهما معا، وإن كان المفهوم المصري القديم قد تميز بقيامه على "الماعت" أي العدالة والنظام ، وقد ساهم هذا المفهوم في نجاح هذا النظام السياسي في مصر القديمة، حيث كان له الفضل في جمع سكان وادي النيل من الدلتا إلى الجندل تحت سيادة واحدة وهي السيادة الملكية حيث كان الملك هو مركز الجاذبية في البلاد، فكل مبادرة كانت

---

١ ــ د. محمد كامل ليلة ، النظم السياسية (الدولة والحكومة) القاهرة : دار الفكر العربي ، بدون) ص٢٢ .

٢ ــ د. مصطفى النشار ، الخطاب السياسي في مصر القديمة ، ط١ (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) ص ٣٧ .

تأتي منه وكل سعي ينبثق من نظامه لينتهي بعرفانه (فالماعت) تقال وتطبق لأن الملك يحبها ، مما يعني أن الماعت هي أرادة الملك وهو مؤسسها.[1]

والدولة في مصر القديمة تقوم بالعديد من المهام منها : أنها تهيئ للفلاحين السبل الكفيلة بحسن استغلال الحقول فتشق القنوات وتطهرها من الرواسب، ولكن أن أهمل الفلاحون زراعة الأرض المعطاة لهم يعهد لغيرهم زراعتها، وذلك لأن الأرض ملكية عامة لا يجوز التفريط فيها، وبالمثل كان لكل مجموعة من الصناع والعمال رئيس هو المسئول عن تسليم إنتاجهم المطلوب للجهات المعنية، وذلك حسب المواصفات التي تعد بكل دقة فإن تقاعسوا عن تأدية واجباتهم ، عهد إلى غيرهم بتنفيذ برنامج الدولة، وكانت الحكومة تصرف للجماعة المنتجة ما يلزمها من غذاء وشراب وكساء.[2]

وهكذا يتضح لنا ان المصري القديم قد عرف مفهوم الدولة وما يتعلق به من مفاهيم كالسلطة والحكومة بل الاكثر من ذلك ،هو اصطباغ المفهوم بالصبغة الدينية لانه كان قائما علي العدالة وهي ميزة انفرد بها المصري القديم .

١ ــ د. مصطفى النشار ، نفس المرجع ، ص٣٨ .

٢ ــ د. محمد فؤاد شبل ، الفكر السياسي ، ج١ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤)ص٥٤ .

ثانيا : الحاكم الفرعون .. ما له وما عليه :

عرف النظام السياسي المصري صورة من الصور الناضجة للتقسيم الإداري فضلا عن أنه عرف تعدد السلطات، كما عرف صورة أولية من صور ما نسميه اليوم نظام الفصل بين هذه السلطات. إن السلطة الحكومية في مصر كانت تتكون من الملك والوزير وموظفوا البلاط والإدارات المحلية ، وهذا التدرج في السلطة التنفيذية كان قائما على أساس مركزية القرار ولا مركزية التنفيذ.[1]

يأتي الملك الإله على رأس حكومة مركزية جامعا في يديه كل السلطات وتصور الأساطير المصرية الصراع الطويل على إقامة مصر المتحدة بأنه صراع طويل بين الآلهة ثم تطور إلى صراع بين (حور) صاحب الوجه البحري ، و(ست) صاحب الوجه القبلي ، ثم انتهي المطاف إلى إقرار حق (حور) في ملك مصر بأسرها وبذلك أصبح الفرعون هو تجسيد الإله حور ، ومن هنا يبدو أن العقلية المصرية قد ربطت منذ عهد مينا بين المجتمع ونظام الكون ، فالآلهة قد فرضت حور ملكا على مصر وانحدر منه جميع فراعنة مصر ، فالملك والحالة هذه إله يتجلى على الأرض بشرا سويا، وبالتالي يحرز طاقات لا تتوافر لأي إنسان فالملكية المصرية بل ونظام الحكم بصفة عامة، ظلت المجري الذي تتدفق منه قوى الطبيعة قدراتها وتصب في جهاز الدولة السياسي لتؤتي جهود الأمة ثمارها فالحاكم صلة الوصل بين الناس والطبيعة ، وإذا كان الفرعون هو الإله فقد وجبت طاعته وعدم مخالفته فضلا عن عبادته وتقديسه وتقديم القرابين له لنيل رضاه ورحمته.[2]

وقد استلزمت فكرة ألوهية الملك أن يظهر اسمه مقترنا ببعض الألقاب التي توضح حمله للصفة الإلهية وحقه الإلهي في حكم مصر العليا والسفلى ، وتذكيره لشعبه دائما بأنه

---

١ ــ د. مصطفى النشار، الخطاب السياسي في مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص٢٠.

٢ ــ د. بكر مصباح تنيرة ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، مرجع سابق ، ص٧٦ ، ٧٧.

وريث الآلهة والصورة الحية للإله حور على الأرض، وبلغ عدد هذه الألقاب عند نهاية الدولة القديمة خمسة ألقاب رئيسية [1] :

١. اللقب الحوري :

ويؤكد هذا اللقب على انتماء حامله إلى عالم الآلهة إلى الإله حور ، ويجعل منه وريثا لحور يحكم باسمه ويتجسد في شخصيته، ذلك لأن حور إنما قد ورث حكم مصر عن أبيه اوزير ثم ورثه للملك الفرعون .

٢. اللقب النبتي :

وهو الذي يلي اللقب الحوري مباشرة على الآثار، ويشير إلى القوة التي تربط الملكية المزدوجة بوادي النيل ، فضلا عن علاقة الملك بالألهتين الرئيسيتين في الصعيد والدلتا فيما قبل الوحدة ، وأنهما قد اتحدتا في شخص الملك الذي يمثل مكانتهما الدينية في البلاد وتقومان بحفظه.

٣. اللقب النسوبيتي :

يدل هذا اللقب على أن الملك إنما ينتسب إلى نبات البوص أو الأسل، شعار مملكة الصعيد ، وإلى النحلة شعار مملكة الدلتا ، ومن ثم فهو يمثل (ملك مصر العليا والسفلي) وكان الملوك عندما يستعملون اللقبين النبتي والنسوبيتي إنما كانوا دائما وأبدا يقدمون آلهة الصعيد وشعاره على آلهة الدلتا وشعارها، لأن ملوك التوحيد إنما كانوا من الصعيد، ومن ثم فقد جعلوا آلهة ملوكهم وشعارهم أولا ثم آلهة الدلتا وشعارها ثانيا.

---

١ ــ د. محمد علي سعد الله ، في تاريخ مصر القديمة (الاسكندرية : مركز الاسكندرية للكتاب ، ٢٠٠١) ص٦٣ . ايضا د. محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادني القديم (٥) الحضارة المصرية (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤) ص١٠٩ ، ١١٢ .

٤. لقب حور الذهبي :

أو حور الذي من ذهب وقد ترجم البعض هذه العبارة بمعنى الطفل الذهبي أو طفل الذهب ، وترجمها اخرون بمعنى الاسم الذهبي أو اسم الذهب، وما يزال معناها غامضا فقد يشير إلى انتصار حور على عدوه ست، وقد يشير استخدام علامة الذهب في الألقاب الملكية للملوك الأسرات الأولى إلى تقديس الملك، وذلك بتجسيده لحور الذي لا يفقد لمعانه مثل الذهب، أو الذي يشع مثل الذهب وعلى أي حال فاللقب إنما يعبر عن القوة العظيمة والمجد.

٥. ابن رع :

ويؤكد هذا اللقب صلة الملك بالإله رع، بل إنه إنما كان تصريحا من الملك الفرعون ببنوته للإله رع.

وعلى الرغم من هذه الألقاب إلا أن كتاب الدولة الحديثة لم يروا في تلك الألقاب الخمسة ما يكفي لإظهار الولاء والإخلاص للملك، ومن ثم فقد أضافوا ألقابا أخرى منها الثور القوي ومحبوب آلهة الحق وحامي مصر وقاهر الشعوب الأجنبية وكثير الأعوام وكثير الانتصارات ، رع القوي في الحق ، محبوب آمون ، رع رب الكرنك، الإله الطيب.[1]

وهكذا يتضح لنا من القاب الحاكم الفرعون اصطباغها هي الاخري بالصبغة الدينية مما يكسب الملك صفة القداسة والالوهية ، إلا أن الملك لم يحتفظ بألوهيته طوال الوقت ، فإذا كان في الدولة القديمة إلها وحاكما وسيدا لشعبه ، فها هي الأسرة الخامسة ترجع حقها في العرش إلى إرادة ربانية قديمة وأصل مقدس، فتخرج على الناس بأسطورة تجعل ملوكها أبناء للإله رع من صلبه ــ وكانت ديانته قد أصبحت الديانة الرسمية للبلاد منذ ذلك الحين ــ ولعل قيام هذه الأسرة بذلك كان ضربة موجهة للملكية الإلهية، كما ظهرت اللامركزية في

---

١ ــ د. محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادني القديم (٥) مرجع سابق ، ص١١٢ .
ايضا : د محمد علي سعد الله . في تاريخ مصر القديمة، مرجع سابق ، ص ٦٣، ٦٤.

الحكم فقللت هي الأخرى من ألوهية الفرعون ورققت من هالة التقديس الذي كان يحيط نفسه بها ، بل لقد وجد في هذا العصر من تجرأ على التشهير بالفرعون وباقامه بأنه سبب البلايا والاضطرابات التي سادت البلاد ثم التمني له بأن ينال نصيبه منها، وحين يرد الفرعون على الاتهام بأنه حاول جهده أن يحمي شعبه بتهمه محدثة بالجهل وعدم الكفاءة للمنصب الخطير.[1]

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تطور في الدولة الوسطى إلى حد مهاجمة الملك وتعرضه للقتل، فلم يعد الملك ذلك الإله الجبار الحاكم فوق البشر ، إنما غدا انسانا له ما للإنسان من ضعف ونزوات وحاكما يعمل لخير شعبه ويجهد نفسه على أن يكون دائم اليقظة حتى لا يؤخذ على غرة شأنه مع شعبه وشأن شعبه معه.[2]

إلا أن الأمر في الدولة الحديثة اختلف حيث عادت للفرعون القداسة التي كان يتمتع بها من قبل واستطاع فراعين الدولة الحديثة، أن يكونوا لمصر إمبراطورية واسعة وظل المبدأ القائل بأن الملك وحده هو الدولة هو المبدأ الرسمي وظل الفرعون على رأس الكهانة والإدارة المدنية والجيش سيدا مطاعا. وهكذا فحكم الفرعون في الدولة الحديثة هو حكم مطلق وأن القانون لم يكن اكثر من مجرد تعبير رسمي لإرادته فضلا عن أنه يتفق مع ما يصدره فرعون من أوامر تسند إلى صفاته الإلهية الثلاثة هي (الحو والسبا والماعت اي السلطة والإدراك و العدل).

وهكذا كان الحاكم في مصر القديمة الها يعبد وهو نفسه الدولة ولذا كان يجمع في يديه كل السلطات .

١ــ د. محمد بيومي مهران ، الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة (الإسكندرية ، ١٩٦٦) ص ١٩٠ ، ١٩٣ .

٢ ــ د. محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (٥) مرجع سابق ، ص١٢٤ .

ثالثا : الوزراء : ما لهم وما عليهم :

استتبع الإيمان بأن الفرعون هو مصدر السلطات بأسرها، حق كل مصري في اللجوء إليه واسترحامه وإذا استحال ذلك عمليا فقد نشأت مناصب الوزراء الذين أصبحوا المركز الحقيقي لتوجيه دفة الشئون الإدارية ، وكان على الوزير أن يقابل الفرعون يوميا ليرفع إليه تقريرا عن حالة الأمة في مجال تخصصه [1].

وكانت الوزارة تسند في بداية الأمر إلى أحد أبناء الملك لكن أصبحت بعد ذلك تسند إلى أبناء الشعب الأكفاء ، وكان الوزير رئيسا لأعيان البلاد وعظمائها ، أما سلطة الوزير فكانت تتلخص في أنه يمثل الأداة المنفذة لكافة الشئون الإدارية في الدولة والتي تدخل ضمن اختصاصات الملك باستثناء الناحية الدينية ، وتشير وثيقة تاريخية ترجع إلى عهد الأسرة الثانية عشرة دونت على جدران معبد الوزير (رخ ــ م ــ رع).[2] وهي وثيقه من ملك الي وزيره يبداها الملك ببيان اهمية هذا المنصب الخطير فيقول جلالته " اعلم ان الوزارة ليست حلوة المذاق بل انها مرة ... فالوزير الاعظم هو النحاس الذي يحيط بذهب بيت سيده "[3] وبعد ان يبين له خطورة المنصب ، يضع له بعد ذلك التفاصيل التي يجب ان يسير علي نهجها في القضايا التي تقدم اليه : والتي يستهلها بقوله " لا تنس أن تحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغيانا على الإله وهذا هو التعليم الذي اعلمك إياه فاعمل وفقا له [4]. ولكن كيف ستتحقق هذه العدالة؟ الإجابة ستتحقق بالآتي :

١ــ د. فؤاد محمد شبل ، الفكر السياسي ، ج١، مرجع سابق ، ص٥٠ .

٢ ــ هذه التعاليد تنسب إلى تحوتمس الثالث الذي تميز بالشجاعة النادرة وقد حكم أمبراطوريته الواسعة بالحزم واللين وكان يعرف كل ما يحدث في أرجائها ، وكان كما قال عنه رخ ــ م ــ رع وزيره كالصقر ، يرى كل شيء. انظر احمد فخري ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ اقدم العصور حتي عام ٣٣٢ ق. م ط٢ (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠) ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

٣ ــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، ترجمة د . سليم حسن (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (٢٠٠٠) ص٢٢٣ .

٤ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع، ص٢٢٤ .

أولا : أن يعامل الوزير جميع المواطنين على قدم المساواة فلا يفرق بين من يعرفه ومن لا يعرفه أيا كان شأنه في الدولة "عامل من تعرفه معامله من لاتعرفه والمقرب من الملك كالبعيد عنه ، واعلم أن الأمير الذي يعمل بذلك سيستمر هنا في هذا المكان".[1]

وهكذا يتبين لنا مدى حرص الملك على ضرورة معاملة الجميع معاملة واحدة فالمساواة المطلقة في المعاملة هي شرط لاستمرار الوزير في وظيفته.

ولذلك يستطرد قائلا له "عندما يأتي إليك شاك من الوجه القبلي أو الوجه البحري أو من أي بقعة في البلاد عليك أن تطمئن إلى أن كل شيء يجري وفق القانون وأن كل شيء قد تم حسب العرف الجاري فتعطي كل ذي حق حقه". [2]

ولم يكن في قدرة الملك أن يقضي بعقوبة على أحد من الناس بكيد له أو غيظ منه أو بأي دافع ظالم آخر، بل عليه أن يتصرف وفق ما تنص عليه القوانين في كل حالة وأكثر من ذلك فإن واجب العدل الذي يقع على عاتق الملك، لم يكن مجرد واجب أخلاقي وإنما كان واجبا دينيا وسياسيا في الوقت نفسه، فرغم النظر إلى الفرعون بوصفه إلها فإن صعوده إلى السماء عند موته، لم يكن في الاعتقاد الديني المصري القديم يتم بصورة آليه، وإنما كان مشروطا بأن يكون قد أمضى على الأرض حياة فاضلة قام خلالها بواجباته نحو الآلهة شأنه شأن البشر، يسأل عن أفعاله يوم الحساب ولكن عليه أن يدافع عن تصرفاته أمام قضاة العالم الآخر ، ولم يكن يسمح له بالصعود إلى السماء، إلا بعد أن يقتنع القضاة بأنه فعلا عاش حياة طيبة وأدى واجباته على النحو المطلوب، وإذا ثبت عكس ذلك أن حياته لم تكن فاضلة وأن أفعاله كانت آثمة كان مصيره جهنم. [3]

---

١ ــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير، مرجع سابق ، ص٢٢٤.

٢ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع ، ص٢٢٣.

٣ ــ د. مصطفى النشار، الخطاب السياسى فى مصر القديمة، مرجع سابق، ص ٧٢.

ثانيا : عدم التسرع في الغضب على أي فرد من المواطنين مالم يستحق الأمر الغضب من أجله إذ يقول الملك لوزيره " لا تغضبن على رجل لم تتحر الصواب في أمره، بل اغضب على من يجب الغضب عليه " [1] وهي دعوة لمعاملة الناس باللين، وعدم الأخذ بظاهر الأمر بل ينبغي تحري الدقة قبل الحكم والثورة على الناس .

ثالثا : أن يقوم بعمله محافظا على ما بينه وبينهم من مسافة تكسبه الهيبة في نفوسهم "اجعل نفسك مهيبا ودع الناس يهابونك والأمير لا يكون أميرا إلا إذا هابه الناس ... واعلم أن الخوف من الأمير يأتي من إقامة العدل". [2]

وهذا أمر ضروري ، فالاحترام المتبادل بين القائد ومرءوسيه ضرورة يفرضها النظام السياسي ، وإذا لم تقم على أساس من الهيبة والاحترام الذي يتولد في نفوس المرءوسين من الرئيس، افتقد الرئيس صفة مهمة من الصفات التي ينبغي أن تتوافر فيه. ولكن ينبغي هنا الإشارة إلى الفرق بين الهيبة والخوف ، ولذلك قال الملك لوزيره " اعلم أن الخوف من الأمير يأتي من إقامته للعدل "[3] فهو يتحدث هنا عن الخوف والهيبة التي تتولد في نفوس المرءوسين نتيجة أن الوزير يطبق العدل على أي إنسان أيا كان موقعه ، وأيا كانت طبقته التي ينتمي إليها ، ومن هنا تأتي الهيبة من إقامة العدل، وليس بمركز الوزير أو منصبه أو بما يمتلكه من وسائل البطش بالناس والتنكيل بهم.

وهكذا عرف المصري القديم الوسطية في المناصب السياسية الحساسة ، فضرورة تحقيق الهيبة في نفوس المحكومين هي الدرجة الوسط ما بين ممارسة العمل السياسي بفوضوية ، وبين فرض الخوف على نفوس الآخرين بممارسة الأعمال المرعبة والمفزعة التي تسير حتما إلى وجود نقص ما في شخصية المسئول السياسي ، وخاصة إذا كان ممن يتولون مثل هذا المنصب

---

١ ــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير، مرجع سابق ، ص٢٢٤

٢ ــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير، مرجع سابق ، ص٢٢٤

٣ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع، نفس الصفحة.

الرفيع ولذلك كان الملك واضحا في كلامه مع وزيره " اعلم أن الإنسان إذا جعل الناس يخافونه أكثر مما ينبغي دل ذلك على ناحية نقص فيه في نظر القوم فلن يقولوا عنه أنه رجل بمعنى الكلمة ، واعلم أن رهبة الأمير تبعث الرعب في نفس الكاذب عندما يعامله الأمير بما يفزعه منه [1].

ولعل كلمه أمير هنا تذكرنا بالسياسي الكبير مكيافيلي الذي اهتم كثيرا بمشاكل السياسة والحكم والذي كان حريصا على تحقيق الوحدة لبلاده ولن يتيسر ذلك إلا بوجود حاكم قوي مرهوب الجانب يكسب احترام شعبه بما تفرضه شخصيته القوية وأعماله من هيبة في نفوس الناس فهو يقول في كتابه السياسي الشهير "الأمير" أن "من الضروري لكل أمير ان يكسب صداقة شعبه وإلا فإنه لا يجد ملجأ له في اوقات الشدة والضائقة [2].

ولكن يجب التنوية على فرق ضروري بين نصائح الملك لوزيره وبين وصايا مكيافيلي لأميره ، وهو أن الأمير عند مكيافيلي الذي يتحلى بالفضيلة فيكسب صداقة شعبه هذا التحلي ليس غاية ، بل هو وسيلة لان يكسب صداقة شعبه ليصل من خلالها إلى المجد وليس مجرد الوصول إلى الحكم ، أما وصايا الملك لوزيره فالفضيلة فيه مقترنة بالسياسة بغض النظر عن النتائج ، فالملك المصري حريص على تحقيق العدل كغاية أساسية ، وهذا العدل هو الذي يفرض هيبة الوزير في النفوس لذلك فهو يقول لوزيره: "اعلم أنك ستصل للغرض من منصبك إذا جعلت العدل رائدك في عملك، إن الناس ينتظرون العدل في كل تصرفات الوزير.[3] ثم يستطرد الملك في حديثه عن التكاليف المنوطة بالوزيرومنها :

---

١ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

٢ ــ مكيافيلي ، الأمير ، تعريب خيري حماد ، ط١٢ (بيروت : دار الافاق الجديدة ،١٩٨٥) ص١٠٦ .

٣ ــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص٢٢٤ .

رابعا : العمل حسب الأوامر التي تلقى عليه " اعلم أن نجاح الرجل هو أن يعمل حسبما يقال له ــ انظر دع هذا الرجل يؤدي وظيفته يعمل حسبما يؤمر به[1] ". فالوزير هو المسئول الأول في السلطة التنفيذية ، والذي يتلقى الأوامر من الملك فالملك يأمره وهو بدوره يأمر من هم دونه من المسئولين.

خامسا : لما كان الغرض الأساسي في خطاب الملك لوزيره هو تحقيق العدل ، فإنه ينصحه بأن لا يتواني في إقامة العدل لتحقيق المساواة بين الجميع ، فالملك يريد من وزيره أن ينصف الضعيف وينصره ، فما أروع أن يكون الحاكم نصيرا للضعفاء ومن هنا كانت هذه الشهادة من المؤرخ (برستيد) الذي شبه هذه الكلمات للملك المصري بدستور إعلان الحقوق للفقراء(magna karta) [2] ، فالملك كان يعي تماما أن هذا الميل نحو إنصاف الضعفاء والمستضعفين هو المعيار الحقيقي لعدالة الحكم لذا ختم كلامه وتكليفه لوزيره قائلا : " راع القانون الذي القي على عاتقك".[3]

ما أروعها من نصائح وما أبلغها من تكليفات من الرئيس الأعلى للدولة إلى معاونه الأول ، والأجمل أن هذه النصائح قد ظل العمل بها ليس مع الوزير فحسب بل لقد انتقلت من الوزير إلى من سيتولى شئون البلاد من بعده ، وهم حكام الأقاليم بل وإلى كل مستويات السلطة التنفيذية في البلاد.

فهذا حاكم (اميني) في بني حسن على باب قبره بيانا يسجل العدالة الاجتماعية في معاملته للكل كاحسن جواز سفر، يمكن أن يبتدعه لأجل الرحلة الطويلة رحلة الأبدية يقول "أميني" عن سياسته الإدارية كسيد إقليم : " لا توجد ابنه مواطن قد عبثت بها،ولاأرملة عذبتها ،ولا فلاح طردته ولا راع اقصيته ، ولا رئيس خمسة سلبته رجاله مقابل ضرائب (

١ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع ، نفس الصفحة

٢ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع ، ص٢٢٥ .

٣ ــ جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع ، نفس الصفحة.

يعني لم تسدد) ولا يوجد بائس بين عشيرتي ولا جائع في زمني ، وعندما كانت تحل بالبلاد سنون مجدبة كنت احرث كل حقول مقاطعة (الغزال) يعني مقاطعته الي حدودها الجنوبية والي حدودها الشمالية محافظا بذلك علي حياة اهلها، ومقدما لهم الطعام حتي انه لم يوجد بها جائع قط وقد اعطيت الارملة مثل ذات البعل، واني لم ارفع الرجل العظيم فوق الرجل الحقير في اي شيء اعطيته، ثم اقبل بعد ذلك الفيضان العظيم بالغلال الغنية والخيرات الكثيرة ولكني مع ذلك لم اجمع المتاخر علي الحقول يعني من الضرائب".[1]

واذا كانت هذه شهاده من حاكم اقليم لذا ينبغي ان نتعرف علي حكام الاقاليم وما لهم وما عليهم .

رابعا : حكام الأقاليم :

كان الملك يعين على رأس كل إقليم حاكما يقوم بكل النشاط الحكومي في إقليمه ، وترجع نشأة وظيفة حاكم الإقليم إلى أن مصر كانت منقسمة إلى مقاطعات وكان المصريون يعتمدون على الزراعة وفيضان النيل الذي كان يتوقف عليه نظام الري ، ومن ثم فمن الطبيعي أن تبلغ طريقة الري درجة الكمال بسرعة فائقة مادامت موضع عنايتهم من قديم ، فحفروا الترع والقنوات وأقاموا الجسور وقد استدعي ذلك وجود موظف يشرف على هذه الأعمال ليقوم بالتفتيش على هذه القنوات والمحافظة عليها وعلى تطورها.[2]

وقد اختلف نفوذ حكام الأقاليم تبعا لشخصياتهم وشخصيات الفراعنة الذين عملوا في عهودهم ، أو عملوا في خدمتهم فاستمر أغلبهم يرد وجوه نشاطه في إقليمه إلى أمر

---

١ ــ د. عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة واثارها ، ج١ (القاهرة : الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية، ١٩٨٠) ص ١٧٦ .

أيضا: جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير، مرجع سابق ، ص٢٢٤

٢ ــ د. محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدني القديم ، ج٢ منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة ، ط٤ (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨) ص٢١٧ .

الفرعون وتوجيهه وفضله ، بينما امتاز الي جانبهم عدد قليل آخر حرص أفراده على أن يؤكدوا مجهوداتهم الشخصية ومآثرهم الفردية في نقوش مقابرهم ، فشرحوا كيف عملوا على تعمير أقاليمهم ، ووطدوا الأمن فيها وكيف ساروا بالعدل بين أهلها وأسعدوهم ، وأن لم يأبوا في الوقت نفسه أن يوفوا بالتقاليد الشكلية حقها فسجلوا إلى جانب مآثرهم من طاعتهم لفرعونهم وحرصهم على القرب منه وإرضائه [1].

أما عن وظيفة حكام الأقاليم فقد كانوا مسئولين عن الأمن وتنظيم جمع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم فى حملات لصد ما قد يتهدد الحدود ، كما كانوا يقومون بدور الوسيط بين الحكومة المركزية وبين رعاياهم ، فكانوا يتلقون أوامر الملك ومراسيمه ثم يذيعونها بين الملكية ، كما كانوا يرأسون محاكم الأقاليم وما يتصل بها من إدارات ، فقد كانت هناك فى الأقاليم محاكم محلية تقوم بمحاسبة الزراع ومحاكمة الموظفين حتى حكام الإقليم نفسه ، إذا قاضاهم أحد من أفراد الشعب إصابة ضرر من تصرفاتهم الإدارية ، أما عن الناحية الدينية فقد جرت العادة على أن يكون أمراء الأقاليم فى الوقت نفسه كبار الكهنة الإله الرئيسى فيها[2].

يتبين لنا من الوظائف المنوطة بحكام الأقاليم أنهم كانوا يقومون بدور الوساطة بين الشعب والفرعون ، كما كانوا يقومون ببعض المهام التنفيذية والقضائية والدينية وكانوا يبذلون أقصى جهدهم لنيل رضى الفرعون ، لأنهم إن قصروا فإن مصيرهم إلى العزل ، وكانوا بعد وفاتهم يدفنون في جبانة العاصمة علي مقربة من مقبرة الملك الاله ، وكانت المقبرة ومطالبها الجنائزية جميعها هبة من الملك يقدمها لمن يشاء من رعاياه المخلصين ، وقد نال ذلك العطف الملكى كثيرون ومن هنا بدأت أول خطوة فى الطريق إلى انهيار الملكية المطلقة إذ بدأ يظهر ملاك جدد، يقابله من الناحية الأخرى نقص فى أملاك التاج الخاصة وسرعان ما بدأ

١- د. عبدالعزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، مرجع سابق ، ص٣٨٣ .

٢ - د. محمد بيومى مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج٢، مرجع سابق ، ص ٢١٩.

حكام الأقاليم خطوة أخرى نحو اللامركزية ، والبعد عن رقابة الفراعين فبدأو يبتعدون بمقابرهم عن مقبرة الملك ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن الأراضي الممنوحة أصبحت خاضعة للتوريث ، وأخذت تنتقل عن طريق الزيجات إلى أسرات أخرى ثم خضعت لعمليات البيع والشراء ، وهكذا تكونت عند بعض الشخصيات البارزة إقطاعيات واسعة ، ولم يستطع الملك أن يكبح جماح هؤلاء المتمردين من حكام الأقاليم ، ولم يهتدوا إلى وسيلة لإنقاذ عرشه من الانهيار[1].

وهكذا وصلت الملكية إلى مرحلة خطيرة نتيجة سياستها نحو الكهان ونحو حكام الأقاليم، والتى كانت تبغى من ورائها ضمهم إلى صفوفها تاركة الشعب دونما أى اعتبار، ومن ثم فعندما ثار عليها هؤلاء اللذين أغدقت عليهم المنح والهدايا لم تحرك جماهير الشعب ساكنا ، ولم تقم بأى جهد لحماية الإله الجالس على العرش بل إن هذه الجماهير إنما قد انتهزت تأزم الموقف ، فقامت بثورة عاتية ضد الجميع ضد الملك وضد الكهانة وضد حكام الأقاليم هذه الثورة التى عرفت فى التاريخ الفرعونى باسم الثورة الاجتماعية الأولى[2].

وقد قامت هذه الثورة لمجموعه من الاسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية منها اهتمام ملوك الدولة القديمة ببناء الاهرامات ، مما كلف خزانة الدولة ما لا تطيق ، فضلا عما قام به حكام الاقاليم من اقتطاعهم لاراضي الدولة وبنائهم مقابر خاصة بهم وكان ذلك ايضا من خزانة الدولة ــ كما سبق ان ذكرنا ــ كل ذلك بالاضافة الي ضعف الملوك امام حكام الاقاليم مما جعل الشعب يفقد ثقته فيهم ، كل هذه العوامل مجتمعه ادت الي ضعف البلاد بالاضافة الي الغزو الاجنبي .[3]

---

[1] – أدولف أرمان وهرمان رانكه، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ترجمة د. عبدالمنعم أبو بكر ومحرم كمال (القاهرة : بدون ، ١٩٥٣) ص٧٩.

[2] – د. محمد بيومى مهران، الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفراعنة (الإسكندرية: ١٩٦٦) ص١١٨ ، ١١٩ .

[3] – د. محمد بيومى مهران، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج٢، مرجع سابق، ص٢٥٦ ، ٢٦٩ .

ولكن هذه الثورة قد حققت النتائج المرجوة منها من تحقيق العدالة الاجتماعية ، كما رسمت للحاكم مهامه التي ينبغي ان يقوم عليها، وهي ان يخدم مصالح الدولة وان يرعي شئونها ويعمل علي وحدتها، كما قللت من هالة التقديس الخاصة بالحاكم الاله الذي اصبح بعد الثورة انسانا اكثرمنه اله ، كما نجحت الثورة بالفعل في تحقيق العدالة الاجتماعية.[1]

خامسا : العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى مصر القديمة

تبين لنا خلال عرضنا للحاكم فى مصر القديمة وللوزراء ولحكام الأقاليم أن النظام السياسى فى مصر القديمة تمحور الكل فيه حول الملك رمز العدالة وراعيها، وهذا الإصرار المشترك بين الملك والشعب فى مصر القديمة ، على أن يطبق الماعت وأن هناك ارتباط شرطى بين الاستقرار والازدهار فى الدولة المصرية وبين تطبيق الماعت بأوامر الملك ، والتزام الموظفين والمواطنين بالتنفيذ ، ونفهم كذلك الارتباط الشرطى بين الانحلال والانهيار للدولة المركزية وضياع هيبتها وبين فقدان الجميع للماعت وإدراكهم لعدم وجودها[2].

إذن فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم يحكمها مبدأ واحد أساسه العدل والمساواة بين الجميع ولعل فى خطاب الملك ــ الذى عرضنا له فى نصائح الملك لوزيره ــ تبين لنا أيضا أن العلاقة بين الحاكم والوزير كانت تقوم على النصح والإرشاد فقد أرشده إلى كل ما ينفع الناس والشعب.

وهذا ليس بغريب على المصرى القديم فقبل هذا الملك بسنوات أعلنها مينا موحد القطرين ومكون أول حكومة عرفها التاريخ قواعد ثابتة للحكم أساسها العدل والمساواة بين الجميع ، فيعلن حق كل فرد فى الهواء والماء وفى أن يعيش آمنا مطمئنا لا يظلم ولا يظلم ، وضرورة أن تسود روح المودة والتسامح بين الجميع يتساوى فى ذلك فقيرهم وغنيهم ضعيفهم وقويهم حاكمهم ومحكومهم ، استمع إليه يوصى وزيره بما قاله الإله "لقد خلقت

[1] – د. محمد بيومى مهران، نفس المرجع، ص٣١١ – ٣١٩ .

[2] – د. مصطفى النشار ، الخطاب السياسى فى مصر القديمة، مرجع سابق، ص ٣٩ – ٤٠ .

الرياح الأربع حتى يستطيع كل إنسان ان يتنفس مثل أخيه ... والمياه العظمى حتى يستطيع الفقير أن يشرب منها ويروى حقله وزرعه كما يفعل سيده ... لقد خلقت كل إنسان مثل أخيه تماما ... ولقد حرمت أن يظلم الناس بعضهم بعضا لكن قلوبهم نقضت ما أمرت به وما شرعت[1]

كما تعد تعاليم الملك خيق الثالث[*] إلى إبنه (مرى- كا- رع) نموذجا رائعا لخلاصة تجارب حاكم لابنه للتأكيد على العدالة، والدعوة إلى المساواة الاجتماعية والاهتمام بشباب الأمة باعتبارهم أساس نهضتها وعدة مستقبلها فهو أولا يلخص مهمة الحاكم فى قوله لابنه " أقم العدالة ما دمت تعيش على الأرض "[2] ولكن كيف ستقيم العدالة، إن العدالة فى الدولة لا تتحقق إلا فى ظل استقرار النظام السياسى فى الدولة ومن هنا تبدأ النصائح بأن يبعد الحاكم كل ما من شأنه أن يثير أى قلاقل أو اضطرابات تعكر صفو الملك فإذا ما التقيت برجل كان أنصاره كثيرين إذا ما اجتمعوا ، وكان محببا في اعين رجاله ... وهو خطيب مسهب فاطرده واقضى عليه وامح اسمه ... أزل ذكراه وذكرى أنصاره أيضا.[3]

وإذا كان هناك رجل عنيف القلب مصدر قلاقل بين المواطنين يثير الفرقة بين الشباب يخضع المواطنون لتأثيره فحقر من شأنه فى حضرة رجال البلاط وأطرده ... اخضع الجموع وادرأ عنها الإثارات[4].

---

[1] – د. جمال المرزوقى، الفكر الشرقى القديم وبدايات التأمل الفلسفى، مرجع سابق ، ص ١٤٣.

[*] – خيق الثالث: هو من أواخر ملوك الأسرة العاشرة التى حكمت مصر وكانت عاصمتها هرقليوبوليس فى الفيوم.

[2] – كلير لا لويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة . المجلد الأول عن الفراعنة والبشر نقلها إلى العربية ماهر جويجاتى وراجعها د. طاهر عبدالحكيم (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٦) ص٦٩.

[3] – كلير لا لويت : نفس المرجع ، ص ٦٨.

[4] – د. جمال المرزوقى، الفكر الشرقي القديم وبدايات التامل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ١٤٤.

فمفهوم العدالة إذن يرتبط بقوة من يحققه ، وبقدرته على السيطرة على الجموع وعدم سماحه لأحد أن ينافسه أو ينازعه السيطرة على المواطنين، وحتى تتحقق العدالة لابد على الحاكم ان يتحلى بالقوة ، والقوة هنا ليست مجرد القوة العسكرية أو قوة العصبية للأسرة المالكة، وإنما قد تكمن قوة الحاكم فى قدرته الفائقة على الإقناع ، فقد يكون الكلام أشد قوة من القتال فى تأثيره على الآخرين وقد أدرك الملك خيتى ذلك ، ونصح به ابنه فى عبارة بليغة قال له فيها " وكن صانعا ماهرا للكلام لتكون قويا ، قدرة الإنسان فى لسانه ... الكلمات أقوى من أى قتال ... ان الإنسان الحكيم مدرسة للعظماء ولا يقع الشر ابدا فى محيطه . الحقيقة والعدالة تأتيان إليه ، وقد عجبنا طبقا للنصائح التى اعطاها الأجداد[1].

ويتبين لنا من كلمات الملك الارتباط الشديد بين الحقيقة والعدالة والحكمة والقوة وهذه هى العناصر التى بها تتحقق السيادة للملك على شعبه ، فلا يكفى أن يكون قد ورث العرش عن آبائه وأجداده ، بل لابد من أن يرث عنهم أيضا الحقيقة والعدالة وأن يكون قادرا على الخطابة المقنعة ، فقوة المرء الحقيقية فى لسانه لأن الكلمات أقوى من أى قتال .

ولكن العدالة لا تتحقق فى الدولة بمجرد معرفتها ولكن تتحقق بما يفعله الحاكم ، وما يصدره من أوامر لموظفيه كى ينفذوا ما يرى فيه تحقيق العدالة بين مواطنيه ، وهذا ما أدركه الملك خيتى ، ولذلك فهو ينتقل بعد ذلك فى خطابه السياسى إلى ابنه الى مجموعة من الأوامر والنصائح الجزئية لتحقيق العدالة . فالعدالة لا تتحقق إلا " أن يظهر الاحترام للكبار وأن يوقر العظماء" حتى يطبقوا قوانينه ، فالإنسان الثرى فى داره لن يكون منحازا لأنه يمتلك الخبرات وليس له احتياجات ، اما الإنسان المعوز فلن يتحدث طبقا للحقيقة وفى الوقت الذى يراعى فيه الحاكم حقوق شعبه وعظماء بلده ، عليه بنفس القدر أن يحافظ على حقوق غالبية الشعب من الفقراء والكادحين ، إذ عليه أن يهدئ من روع المنتحب ولا يقهر الأرملة، ولا يطرد إنسان من ممتلكات ابيه ... ويتجنب توقيع عقوبة بالباطل ، ولا يقضى

[1] – جيمس هنري برستيد، فجر الضمير، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

على من هو غير ذى فائدة له [1]. وإذا وقع عقوبة فلتكن بالضرب أو بالسجن ... ومن ثم تستقر أحوال البلاد[2].

إن إقامة العدالة على الأرض لا تكون إلا بمراعاة الفوارق الطبقية، والحفاظ على حقوق عامة الناس وعدم قهرهم أو معاقبتهم ، ما عدا المتمرد الذى تنكشف مخططاته لأن الله يعرف الإنسان صاحب القلب الخسيس، والله سيعاقب بالدم العمل السئ[3].

ولكن ينبغى أن ننوه أن الملك ليس من دعاة التمييز بين الطبقات فهو أبعد ما يكون عن ذلك، لأنه يدرك أن كل إنسان حسب مؤهلاته وطبقته يقوم بدور مهم فى خدمة الدولة. وهذا يذكرنا بحديث أفلاطون عن العدالة فى كتابه الشهير الجمهورية ففى الوقت الذى ينصح فيه خيتى ابنه " اعط أهمية لعظمائك ، وضع فى المقدمة الشباب المنتمين لحاشيتك، وخصص لهم الخيرات، ووفر لهم الحقول وكافئهم بهبات من القطعان ".[4] يستطرد ويضيف قائلا " لا تفضل ابن انسان ثرى على ابن انسان فقير وقرب منك الرجل حسب أفعاله ، لان كل مهنة تؤدى من اجل رب القوة " [5].

يتبين لنا مما سبق إيمان الملك خيتى ايمانا كاملا بالمساواة وأهميتها فى الدولة، ليس هذا فحسب بل ان حديثه عن المساواة قد عبر ايضا عن ما يتمتع به الملك من الدهاء السياسى ، والجديد هنا فى نصائح الملك أنه يهتم بالحاضر ولا ينسى المستقبل بل يضع المستقبل فى حسبانه ، ولذلك يطالب الملك خيتى ابنه بان " يعلي من شان الجيل الجديد ليحبك اهل الحاضرة ... وأن يشيد العمائر ... فهى تخلد اسم صاحبها.[6] وهكذا فالمستقبل في مفهوم

---

[1] – جيمس هنري برستيد ، نفس المرجع، ص ١٦٩ .

[2] – كلير لا لويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص ٦٨.

[3] – كلير لا لويت، نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[4] – كلير لا لويت، نفس المرجع، ص ٧٠.

[5] – كلير لا لويت ، نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[6] – كلير لا لويت نفس المرجع، ص ٧٠. ايضا جيمس هنري برستيد ، فجر الضميرمرجع سابق ، ص١٦٨ .

خيق ليس فقط ما تجرى به الأيام فى هذه الحياة الدنيا، بل ايضا ما سيحدث فى الحياة الأخرى، فالإيمان بالله وبالمصير الأخروى يعد ركنا من أركان العقيدة السياسية ، واساسا من الأسس التى تتحقق بمقتضاها العدالة على الأرض، إذ ان الأفعال الحميدة للإنسان العادل أكثر نفعا من نور ذلك الذى يرتكب الشر، وعلى الإنسان أن يعمل من أجل الإله فلقد أنعم الإله بالكثير من النعم على البشر ... لقد خلق نسمة الحياة من أجل أذواقهم ... أنهم صوره المنبثقة من جسده ... إنه يتألق فى السماء حسب رغبتهم ومن اجلهم خلق النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم، وخلق النور حسب رغبتهم وليبحر ليشاهدهم[1].

وهكذا يهتم الملك بتحقيق العدالة على الأرض بين شعبه ليكسب محبتهم ورضا الآله الخالق فى نفس الوقت.

وكما كان الملك حريصا فى اسداءه النصح لابنه فى شكل أوامر فأيضا نهاه عن اتيان بعض الأمور، ويبدأها بتحذيره من ظلم الأرملة ويوصيه بألا يحرم شخص من ثروة ابنه، وألا يطرد الموظفين من وظائفهم ، ويقول له " حاذر أن تعاقب الناس دون خطأ جنوه، لا تقتل فإن ذلك لا يجديك شيئا، ولكن عاقب بالضرب والاعتقال فتصلح الأمور فى البلاد، اللهم إلا الثائر عليك الذى تتثبت من أمره كما يحذر ابنه من الاعتداء على آثار الآخرين، ومن محاربة الجنوب لأن ذلك يعطى الفرصة للبدو الأسيويين فيعيثون فسادا فى الدلتا.[2] ويذكر الملك ما جر عليه اصطدامه بالجنوب " انظر لقد حدثت نكبة فى عهدى لقد تحطمت مناطق عديدة حدث ذلك حقا بسبب ما فعلت، ولكن لم أعلم به إلا بعد حدوثه انظر لقد جوزيت على ما اقترفت ".[3]

---

[1] – كلير لا لويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص ٧٤.

[2] – كلير لا لويت، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص ٧١.

[3] – جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق، ص ١٦٧ .

وهذه نغمة جديدة من التواضع فلم يعد الملك ذلك الإله المترفع فوق البشر والذى يرجوا جميع الناس تعطفه ورضاه ، ليصيبهم شئ من احسانه فى الدنيا والآخرة ، بل أصبح شخصا يتحدث عن ضعفه ويردد عبارات ندمه كسائر البشر[1].

أى ديمقراطية هذه التى تمتع بها النظام السياسى المصرى القديم الذى كان حريصا كل الحرص على تحقيق العدالة ، وإنكار الظلم بل والتحذير من عواقبه وأى قانون هذا الذى يحكم على الغنى مثل الفقير، وأى روح تلك التى كان الملك حريصا على أن يراعيها ابنه حين يحكم على الظالم ، وأى حكمة لأب يعترف بما اقترفه خشية على ابنه، يجسد كل هذه النصائح ويحكيها فى النهاية شئ واحد ألا وهو مصلحة الشعب.

ولذلك فقد عبر خيتى عن كل ذلك حينما قال لابنه فى ختام نصائحه " امنح حبك لشعب البلاد أجمعين فالناس يتذكرون الكائن الجميل عندما ينقضى زمنه ذلك ان المقربين من قصر خيتى سيقولون عنك، وهم يفكرون فيما يحدث اليوم ، ذلك الذى قضى على فترة المعاناة ... انظر لقد اخبرتك بما يمكن أن يكون مفيدا أو بما هو لدى ... اعمل الآن وفقا لما ثبت صحته أمامك[2].

ولذلك يحذر الملك ابنه حتى لا يكرر الإثم الذى اقترفه ابوه، فالعقاب فى الدنيا هين ولكن عند المصرى القديم المشكلة ليست فى الدنيا ، فلأول مرة فى تاريخ مصر نقرأ فى تلك النصائح عن وجود محكمة بعد الموت، يقف الإنسان صاغرا أمامها ولا ينفعه أمام قضائها إلا العمل الصالح فإن أعماله توضع مكدسة إلى جواره فهو يقول " ان الانسان يبعث ثانية بعد الموت وتوضع اعماله بجانبه كالجبال ، ان الخلود مثواه هناك (يعني في الاخرة) والغبي من لا

[1] – د. جمال المرزوقى ، الفكر الشرقى القديم وبدايات التامل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ٦٥.

[2] – كلير لالويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص ٧٤.

يكترث لذلك اما الانسان الذي يصل الي الاخرة دون ان يرتكب خطيئة فانه يمش مرحا مثل الأبرار المتوفين.[1]

وهذا اعتراف صريح ليس من رجل عادى، بل من ملك لشعبه يعترف فيه بأن سعادة الإنسان فى آخرته تتوقف على عمله فى الدنيا، ولا تتوقف علي رضاه فقط .كما أن هذه البردية تقر صراحة بأن كل امرئ مهما كان مركزه سيحاسب على أعماله أمام محكمة الآلهة، وأنه سيجد تلك الأعمال مكدسة إلى جانبه بما فيها من خير وشر، وأن السعادة فى الآخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى أو على قرابين تقدم بانتظام، ولكن الله يعرف ما فى القلوب ويطلب من عباده أن تحسن نياتهم ويذرون وراءهم الطمع والشر، لأن النيات الحسنة هى التى يقبلها وهى أقرب إليه من القرابين التى يقربها المذنبون ليكفروا بها عما اقترفوه من إثم[2].

وهكذا فلكل حاكم سياسة في الحكم ، ووسائل مختلفة لتحقيقها ولكن هؤلاء الحكام والملوك جميعا يحكمهم مبدا واحد في الحكم هو تحقيق العدالة . ولكن التساؤل الان هل تختلف العلاقة بين الحاكم والمحكوم في وقت الاستقرار والرخاء عن اوقات الشدة والضيق ؟ لذا فقد راينا ان ناخذ نموذج اخر من التعاليم التى تحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم فى مصر القديمة، وتتمثل فى تعاليم الملك امنمحات الأول إلى ابنه سنوسرت[*]، فإذا كانت تعاليم الملك خيتي تعد دلاله علي الفكر السياسى فى عصر الازدهار والاستقرار للبلاد وللحاكم ، فإن تعاليم الملك أمنحمات دلالة على وضع مختلف فقد قالها فى عصر القلق والاضطراب داخل دهاليز الحكم، لذلك تحمل تعاليمه لابنه نغمة التشاؤم والحذر، ولعل

---

[1] – جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق، ص ١٧٠ .

[2] – د. جمال المرزوقى، الفكر الشرقي القديم وبدايات التامل الفلسفي ، مرجع سابق ، ص ١٥٢.

[*] – الملك امنمحات الاول هو اول ملوك الاسرة الثانية عشر (٢٠٠٠ ــ ١٩٧٠ ق .م) انظر برستيد ، فجر الضمير مرجع سابق ، ص٢٢٧ . وتعاليم الملك منشورة في نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، وايضا عرض لها برستيد في كتابه فجر الضمير ص ٢١٩ .

ذلك يرجع إلى الظروف السياسية التى كتب فيها تلك التعاليم فالملك امنمحات هو مؤسس الأسرة الثانية عشرة، وحول كيفية التأسيس قيلت روايات كثيرة فمن المؤرخين من اعتبره مغتصبا للعرش من الأسرة السابقة.[1] له ومنهم من يقول أنه لم يغتصب العرش، بل اعتلى العرش بعد ان عجز أولئك الورثة عن الاحتفاظ به، وبعد أن مرت البلاد بفترة عزعليها فيها الاستقرار والحكم الصالح[2].

وعلى أى حال فهذه الروايات تكشف عن أنه لم يتولى الحكم عن رضا أو طلب من ورثة العرش، وهذا يفسر تلك المؤامرات التى دبرت فى قصره لاغتياله والقضاء على حكمه، ويفسر أيضا نظرته المتشائمة فى كتابته هذه الوصية لابنه ويدل ذلك حديثه لابنه إذ يقول له " انت يا من ظهرت بجلال كإله اصغ لما سأقوله لك حتى تصير ملكا علي البلاد، وحتي تصبح حاكم الشاطئين وحتي يكون في مقدورك ان تزيد من خيرات البلاد، قو نفسك امام جميع كل اتباعك ، لان الناس يصغون لمن يرهبهم ، ولا تقتربن منهم علي انفراد ولا تملان قلبك باخ، ولا تعرفن صديقا ولا تتخذن لنفسك خلانا (تضع فيهم ثقة) لا نهاية لها وحينما تنام حافظ بنفسك علي قلبك ،لان الانسان لا اناس له يوم الكريهه ، لقد اعطيت السائل واطعمت اليتيم وقبلت الحقير والعظيم (في حضرتي) غير ان الذي اكل زادي قد عصاني ومن مددت له يدي قد بعث فيها الخوف " [3].

معنى هذا أن على الحاكم الناجح أن يوازن بين الحفاظ على حياته الشخصية بالحذر المطلوب فى فترات القلق، وتوقع المؤامرات ضده، وبين مهامه السياسية التى لا ينبغى أن تتأثر بما يحدث له، فمصلحة البلاد فى الإدارة القوية الحاسمة وتحقيق الخير للشعب، ومصلحة

---

[1] – انظر بالتفصيل د. عبد العزيز صالح ، الشرق الادني القديم ،ج١ مصر والعراق (القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٢) ص ١٧٣ .

[2] – د. محمد ابراهيم بكر ، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة (القاهرة : مطابع الهيئة العامة للاثار ، ١٩٩٢) ص٢٥٦ .

[3] – جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص٢٢٠ ايضا : كلير لالويت ، نصوص مقدسه ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

الحاكم فى الحفاظ على حياته وتربية ابنه تربية سليمة اذن هما مصلحتان عامة وخاصة لا تتعارضان بل تتكاملان[1].

وعلى الرغم من أنه تولى الحكم بهذه الطريقة إلا أنه لم يكن طاغية ولا دكتاتورا بل كان بشهادة برستيد حقا من كبار الإداريين فى العالم القديم ، واستطاع بما وهبه الله من فطنه عظيمة أن يعيد بلا نزاع ذلك النظام القديم الماعت، بقدر ما سمحت له الأحوال[2]، ولذلك مهمته كانت صعبة فى ظل ما يجتاح البلاد من اضطرابات وقلاقل ، فالمعركة لم يعد يدرك خطورتها أحد لأن الناس يتقاتلون فى الساحة بعد ان نسوا الأمس" فلا وجود للسعادة الكاملة بالنسبة لمن يجهل ما كان ينبغى أن يعرفه " [3].

ولعل هذا يذكرنا بما سيقوله الفيلسوف اليونانى الشهير سقراط (شهيد الكلمة) حين أعلن مبدأه الشهير (الفضيلة هى المعرفة) فوحد بين حياة الفضيلة وتحقيق السعادة فإذا عمل الإنسان الخير هو عن علم ، أما إذا ارتكب الرذيلة فهذا ينم عن جهل ولذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل[4]. وهذا نفسه ما عبرعنه امنمحات فى عبارته البليغة حينما قال:" لا وجود للسعادة الكاملة بالنسبة لمن يجهل ما كان ينبغى أن يعرفه، فالمعرفة هى طريق السعادة، والجهل هو طريق الشقاء والرزيلة" [5].

وعلى الرغم من الظروف الاجتماعية والسياسية المضطربة فى عصره إلا ان أمنمحات نجح فى تحقيق وإحياء العدالة الماعت كحقيقة واقعة، اعاد بها الشعب المصرى إلى سابق عهده، وهكذا ربط هذا الملك بين(العدالة ــ المعرفة–السعادة) بعد أن نسى الناس مفهوم العدالة والنظام لما تعرضت له البلاد من فوضى وظلم ولذلك اعلن هذا الملك انه لا

---

[1] – د. مصطفى الخشاب، الخطاب السياسى فى مصر القديمة، مرجع سابق ، ص ٥٩.

[2] – جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص٢١٩ .

[3] – كلير لالويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص٧٥ .

[4] – د. مصطفي النشار ، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) ص٨١ ، ٨٣ .

[5] – كلير لالويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، مرجع سابق ، ص٧٥

وجود للسعادة لمن يجهل ما كان ينبغى أن يعرفه فمعرفة معنى العدالة والنظام ضرورة لاستقرار النظام السياسى، ويلعب دورا هاما فى اشاعة الأمان والوئام بين الناس. إذن حديث سقراط وأفلاطون عن الفضيلة والسياسة وارتباط الأخلاق بالسياسة ليسا من صنعهم، بل عن المصرى القديم قد أدرك منذ فجر التاريخ هذا الارتباط، ولم يحيدوا عنه أبدا حتى فى فترات الانهيار والتدهور كانوا يطالبون بعودته. هذا فضل آخر للحضارة المصرية ورثته عنهم جميع الحضارات. [1]

وفى سبيل تحقيق العدالة والنظام يتحدث امنمحات فى تعاليمه التى بين أيدينا عن انجازاته المتعددة لإعادة النظام والطمأنينة إلى البلاد وتأمين حدودها، ويذكر ما أقامه فيها من معابد وما شيده من حصون، وما أخذه من فتن فى الشمال والجنوب وهدفه من ذلك هو أمران الاول : اصلاح النظام الداخلي بحيث تعود العدالة وينتفي الظلم وتتحقق رفاهية الشعب ، ويتوفر الحد الأقصى من الخيرات لهم، وهو يفتخر بذلك قائلا " لم يكن هناك جوعى طوال سنوات حكمى ولم يعرف الناس العطش بفضلى، وبسبب ما فعلته كان الناس يجلسون ويحكون عنه وكل ما أمرت به كان فى مكانه السليم [2].

أما الأمر الثانى : القضاء علي المغيرين واخذ العدة لدفع الغارات المقبلة فكان حرصه الشديد على الحفاظ على تراب وطنه، وتوسيع رقعة ملكه وهو يفتخر بذلك أيضا، حينما يقول " لقد مشيت ووصلت حتى مستنقعات الدلتا ووقفت عند حدود البلاد، وشاهدت ما كان بها ودفعت حدود السلطة إلى الخلف بفضل ساعدى وبفضل هيئتى، لقد

[1] – د. مصطفي النشار ، الخطاب السياسى فى مصر القديمة، مرجع سابق، ص ٥٩ – ٦٠ .

[2] – جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

روضت الأسود وأبعدت التماسيح وأخضعت أهل بلاد واوات(*) واصطحبت المجاى(**) وعملت على ان يمشى الآسيويون كالكلاب. (١)

وهكذا يتضح لنا مدي حرص هذا الحاكم الحكيم الذي اوجز في كلمات قليلة معاني ومهام جليلة ينبغي علي الحاكم ان يلتزم بها في حكمه وحيال رعاياه، واوجزها في امرين الاول داخلي يتعلق بحرصه علي رفاهية شعبه والثاني خارجي وهو تامين حدود بلاده والمحافظة علي تراب وطنه .

* – واوات : هى منطقة تمتد من الجندل الأول على النيل وحتى الجندل الثانى

** – المجاى : إشارة إلى الفرق النوبية المساندة التى كانت تخدم فى الشرطة والجيش.

١ ـــ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، مرجع سابق ، ص٢١٩ .

سادسا : الخاتمة ونتائج البحث

يتبين لنا من خلال تناولنا للفكر السياسي في مصر القديمة ما ياتي :

اولا : اصالة الفكر السياسي المصري القديم ، فالفكر ليس حكرا علي شعب من الشعوب ولا علي حضارة من الحضارات ، بل هو سلسلة متصلة الحلقات والفكر لا يبدا من فراغ فالحضارة اليونانية تمتد بجذورها الي حضارات الشرق القديم ومنها الحضارة المصرية .

ثانيا : المصري القديم اقدم سياسي عرفه التاريخ الانساني كله سياسي عمره من عمر الزمن ،علم الدنيا كيف تحكم بالعدل بين الناس، وكيف تضع القوانين وهو اول من اشتغل بالسياسة، واول من كون حكومة منظمة فهم اول من علموا العالم كيفية الانتقال من الحياة البدائية الفوضوية غير المنظمة الي الحياة الاجتماعية ــ المدنية ــ السياسية المنظمة التي تقوم علي تحقيق العدالة والنظام (الماعت) ساعده في تحقيق ذلك مجموعه من العوامل الطبيعية والبشرية .

ثالثا : لم يختلف مفهوم الدولة في الفكر المصري عن الفكر الحديث بل تميز عنه بقيامه علي الماعت مما ساهم في نجاح النظام السياسي في مصر القديمة فالماعت هنا تقال وتطبق فهي تعبر عن ارادة الملك .

رابعا : تركزت السلطة في مصر القديمة في الملك الاله الذي يجمع بين يديه كل السلطات ومع ذلك لم يكن ديكتاتور ولا طاغية، ولم يقبع في برج عاجي بل هو اله يتجلي علي الارض بشرا سويا، هو همزة الوصل بين الناس والطبيعة لذا وجبت طاعته.

خامسا : عبرت تعاليم تحوتمس الثالث الي وزيره (رخ ــ م ــ رع) اصدق تعبير عن التكليفات المنوطة بالوزير والاعباء الملقاة عليه، وكانه في تعاليمه يصدر قانونا حديثا من قوانين حقوق الانسان التي نسمع عنها فقط نظرا ولا تطبق في واقع الحال ولكنها في مصر

القديمة كانت اقوالا وافعالا ،عبرت اصدق تعبير عن كيفية العلاقة بين الحاكم والمحكوم القائمة علي :

ا . المساواة

ب . معاملة الناس باللين وعدم الاخذ بالظاهر

ج. الاحترام المتبادل بين القائد ومرؤسيه

د . المساواة امام القانون فكل شيء يجري وفقا للقانون

ه . تحقيق العداله حتي يتم قبوله في الاخره

و . الصداقه بينه وبين الشعب فهي الطريق الي المجد

ز . انصاف الضعفاء

سادسا : لا تقل المسئولية الملقاه علي عاتق حكام الاقاليم عن المسئولية الملقاه علي عاتق الوزير فالكل يعمل داخل منظومه هدفها النهائي (العدالة) لذلك كان الجميع يتفاني في اداء واجباته، لان العواقب نتيجه الاخلال بالواجبات فهي جسيمه وخطيره.

سابعا : المصري القديم هو ثائر منذ نعومة اظفاره، فلم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير المجيدة هي الاولي في تاريخ هذا الشعب، بل انها تتشابه الي حد كبير مع الثورة الاجتماعية الاولي التي قام بها المصري في عهوده السحيقة ، ثورة ضمت كل فئات الشعب هب الجميع وكان هدفهم واحد هو تحقيق (الماعت) فكانت ثورة ضد الظلم والاستبداد ضد الملك وضد الكهانه وضد حكام الاقاليم .

ثامنا : ضربت تعاليم الملك خيتي الثالث لابنه (مري ــ كا ــ رع) نموذجا رائعا لخلاصة تجارب حاكم لابنه للتاكيد علي العدالة والدعوه الي المساواة بكافة اشكالها والاهتمام بشباب الامه ، وضع فيها هذا الملك الصفات التي ينبغي توافرها في الحاكم وهي القوة

والسيطرة علي الجميع والقدرة علي الاقناع والتواضع وان يكون حكيما يعمل للمستقبل وان يوقر الكبير وفي نفس الوقت يراعي حقوق الرعية من الفقراء والكادحين والارامل والمعوزين كل هذا يصب في بوتقه واحدة وهي تحقيق العدالة علي الارض بين الشعب ليكسب محبته ليس هذا فحسب بل يكون هدفه ايضا رضا الخالق في نفس الوقت .

تاسعا : اهتمام المصري القديم بتحقيق العدالة ، ليس في وقت الاستقرار والرخاء فحسب بل انه كان حريصا علي ذلك ايضا وقت الاضطرابات، ولذا كان عرضنا لتعاليم الملك امنمحات الاول الي ابنه سنوسرت وتاتي ضرورة ذكرنا لها لانها تعبر عن تجربة حاكم دام حكمه حوالي ثلاثين عاما وهي مدة تذكرنا برئيسنا السابق

ولكن الفارق هنا انه علي الرغم من طول المدة وصعوبة المهمة ، الا ان هذا الملك كان حريصا كل الحرص علي تحقيق النظام والاستقرار في الداخل وتامين الحدود في الخارج ليس هذا فحسب ، بل كان حريصا كل الحرص علي رفاهية شعبه وتوفير الخيرات له .

يا له من نموذج مشرف لملك ينبغي ان يكون قدوة لكل صاحب منصب اي كان صغيرا او كبيرا ..... فهل من مقتدي

سابعا : قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

أ / المراجع العربية

١ ـ احمد فخري ، مصر الفرعونية ، موجز تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق. م ط٢ (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠) .

٢ ـ أدولف أرمان وهرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال (القاهرة : بدون ، ١٩٥٣)

٣ – د. بكر مصباح تنيره ، تطور الفكر السياسي فى العصور القديمة والوسطى (بنغازي : دار الكتب الوطنية ، ١٩٩٤) .

٤ ـ د. توفيق الطويل ، أسس الفلسفة ، ط٦ (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦) .

٥ ـ د. جمال المرزوقي ، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي (القاهرة : دار الآفاق العربية ، ٢٠٠١)

٦ ـ جيمس هنري برستيد ، فجر الضمير ، ترجمة د . سليم حسن (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠) .

٧ ـ د. عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج١ (القاهرة : الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية ، ١٩٨٠) .

٨ ـ د. عبد العزيز صالح ، الشرق الادني القديم ،ج١ مصر والعراق (القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٢) .

٩ ـ ه .. فرانكفورت وآخرين ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا إبراهيم مراجعة محمد الأمين (بغداد ، بدون، ١٩٦٠) .

١٠ـ د . فؤاد زكريا ، التفكير العلمي، ط٣ ، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨) .

١١ ـ كلير لا لويت ، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة . المجلد الأول عن الفراعنة والبشر نقلها إلى العربية ماهر جويجاتى وراجعها د. طاهر عبدا لحكيم (القاهرة : دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٦) .

١٢ ـ د. محمد إبراهيم بكر ، صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة (القاهرة : مطابع الهيئة العامة للآثار، ١٩٩٢) .

١٣ ـ د. محمد بيومي مهران ، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم (٥) الحضارة المصرية (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤) ص١٠٩ ، ١١٢ .

١٤ ـ د. محمد بيومي مهران ، الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفراعنة (الإسكندرية ، ١٩٦٦)

١٥ ـ د. محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم ، ج٢ منذ قيام الملكية حتى قيام الدولة الحديثة ، ط٤ (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٨) .

١٦ ـ د. محمد جمال الدين مختار ، تاريخ مصر والشرق الأدنى في العصور القديمة (القاهرة : دار النهضة العربية ، ٢٠٠١) .

١٧ ـ محمد علي سعد الله ، تطور المثل العليا في مصر القديمة (الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٩) .

١٨ ـ د . محمد علي سعد الله ، في تاريخ مصر القديمة (الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠١)

١٩ ـ محمد فؤاد شبل ، الفكر السياسي ، ج١ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤) .

٢٠ ـ د. محمد كامل ليلة ، النظم السياسية (الدولة والحكومة) القاهرة : دار الفكر العربي ، بدون.

٢١ـ محمد كريم ، تطور الفكر الفلسفي والسياسي من مصر القديمة حتى الإسلام ط١(بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، ١٩٩٥) .

٢٢ ـ د. مصطفى النشار ، الخطاب السياسي في مصر القديمة ، ط١ (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) .

٢٣ _ د. مصطفي النشار ، مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان (القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨) .

٢٤ _ د. مصطفى الخشاب ، النظريات السياسية والاجتماعية ، ط١ (القاهرة : لجنة البيان العربي، ١٩٥٣)

٢٥ _ مكيافيللي ، الأمير ، تعريب خيري حماد ، ط١٢ (بيروت : دار الآفاق الجديدة ،١٩٨٥).

٢٦ _ د. مهدي فضل الله ، بدايات التفلسف الإنساني ، الفلسفة ظهرت في الشرق (بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر ، ١٩٩٤) .

ب / المراجع الاجنبيه

٢٧ _ Burnet, Early Greek philos, 3rd, edit London , 1920

Zeller, outlines of the history of Greek philosophy London 1963 _ 28